



الخطاب التربوي والإنساني في القصص القرآني الموجه للطفل.
**The educational and humanitarian discourse in Qur 'anic
Stories directed to the Child .**

د. فاطمة الزهراء عايب* ، المركز الجامعي ، سي الحواس ، بركة ، الجزائر

fatma.ayeb@cu-barika.dz

تاريخ التسليم 2021/11/20 تاريخ القبول 2021/12/12 تاريخ النشر: جانفي 2022

Abstract

Children's literature is one of the manners that implant educational and human values in the hearts of children, raising moral principles in them and making of them generations servants to society. (1) We can also say that children's literature is an opportunity for them to achieve self-confidence, and a spirit of risk in continuing research, discovery and curiosity for the sake of more knowledge, and given its great importance in forming the child's personality and working to guide him educationally, it serves as a safety bridge to refine his experiences and develop His Awareness of this (scientific and educational experiences and studies have proven that literature has become a necessity for today's children) (2) and children's literature is divided into literary genres such as poetry, theatre and story. ? .

المخلص

يعدّ أدب الطفل من الآداب التي تزرع القيم التربوية والإنسانية في نفوس الأطفال، فتربّي فيهم المبادئ الأخلاقية وتجعل منهم أجيالا خادمة للمجتمع . لذلك فهو رسالة تعمل (على توحيد المشاعر الإنسانية وتغذي العواطف بأنبل التوجيهات وأفضل النزاعات ، وتعبّر عما ندفعه في أعماقنا وقد نخجل من البوح بها) (1) كما يمكننا القول إن أدب الطفل بمثابة الفرصة لهم لتحقيق الثقة بالنفس ، وروح المخاطرة في مواصلة البحث والاستكشاف وحبّ الاستطلاع من أجل مزيد من المعرفة، ونظرا لأهميته البالغة في تكوين شخصية الطفل والعمل على توجيهه تربويا ، فإنّه بمثابة جسر الأمان لصقل تجاربه وتنمية مداركه لذلك (أثبتت التجارب والدراسات العلمية والتربوية أن الأدب أصبح ضرورة لا يَد منها لأطفال اليوم) (2) ويتفرع عن أدب الطفل أجناسا أدبية كالشعر والمسرح والقصة ، وقد كان لنا في هذا المقال وقفة مع القصة الدينية إذ سنتقصى خطابها الإنساني والتربوي في القصص الديني الموجه للطفل؟

Keywords: the story, the religious story, the humanitarian educational discourse.

الكلمات المفتاحية:

القصة ، القصة الدينية ، الخطاب الإنساني والتربوي.

أولا مهاد نظري :

تعدّ مرحلة الطّفولة الغرس الأنسب لتربية صالحة لنبات سينمُو، وعليه كان الأدب الموجه للأطفال لبنة أساسية لزرع القيم التربوية والإنسانية وصقل مواهبه المستقبلية، وقد عرفه حسن شحاتة بقوله (هو جزء من الأدب بشكل عام ، وينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من تعريفات إلاّ إنه يتخصص في مخاطبة فئة معينة من المجتمع وهي فئة الأطفال ، وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعاً لاختلاف العقول والإدراكات والاختلاف في الخبرات نوعاً وكماً) (3) ، وعليه فهو أدب متخصص يتجه لفئة عمرية محددة مداركها تحتاج الرعاية لبناء جيل صالح وهو يختلف

عن أدب الكبار إذ إن (أدب الصغار يساهم في بناء ذات الطفل وينميّ فيه التوجيه والإرشاد والتوعية الإيجابية ، أما أدب الكبار فهو تعبير عما يعيشه الإنسان في الواقع) (4) ، وعليه عدّ هذا الأدب بمثابة رسائل توعوية وإرشادية تغرس نبل الأخلاق وتشجع على نوع أدبي هادف يدعو للفضيلة ، فكان الأدب الإسلامي هو الأجدر الذي نستقي منه ماء الحياة والأقدر على التنشئة السليمة الهادفة المتشبعة بالقيم الإنسانية والتربوية ولذلك يعرفه نجيب الكيلاني بقوله (هو تعبير أدبي جميل مؤثر صادق الإحياءات والدلالات يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته ويبني عليها كيان الطفل عقلياً ونفسياً ووجدانياً وسلوكياً وبدنياً) (5) ، ولما كان الأدب الإسلامي هاماً جداً لبناء شخصية الطفل غرضه التنشئة تربوياً، فلقد كان بمثابة جرعات

الدواء الشافية إذ إنه يساعدهم (على التخفيف من حدّة المشكلات التي يواجهونها وشرح سبل علاج لهم حتّى يزدادوا ثقة بأنفسهم) (6) ولأنّ لأدب الطفل فعاليته ، فجميع فروعها من قصة وشعر ومسرح تستقي رسالتها للرفق بالطفل .

ولقد اختارنا القصة الدينية لنبيّن دورها في إرساء معالم الإنسانية والقيم التربوية ، وقبل ذلك سنعرّف القصة عموماً بوصفها من فنون الحكى التي تعمل على شدّ انتباه الطفل وتشويقهِ ، فهي قديمة كقدم التاريخ ، وهي إحدى طرق التعبير عن الأحاسيس والمشاعر ، فالقصة في لسان العرب لابن منظور هي من (قصّ الشعر والصوف الظُفْرِيقصُّه قصا ، وقصَّصه وقصَّاه على التَّحوِيل : قطعهُ ، وقُصَّاصُهُ الشعر والصَّوْف الظُّفْرِيقصه قصا وقيل: قُصَّاص الشعر نهاية منبته من مقدّم الرأس) (7) وبالتالي فالقصة لغويًا بمعنى التحوّل من حال لآخر .

أما اصطلاحاً :

عرف محمّد فوزي مصطفى القصة المقدّمة للطفل بأنها (فن أدبي عندما تطرح فكرة ، أو تعالج موضوعاً ، أو تسرد حدثاً فإنّه ينبغي أن يكون محدداً ، وأن يتمّ معمار في جميل ، متناسق العناصر والأجزاء ، سواء من ناحية البناء الفني ، أو من اتساق العناصر وتآلفها بما تحتوي من شخصيات محورية وثانوية ، ومكان يضيف للطفل من ثقافته الجغرافية ، وزمان يوسع من ثقافته التاريخية) (8) ولذلك فالقصة الموجّهة للطفل تُعدّ جنساً أدبياً هادفاً إذ إنّهُ (وسيلة تربوية حديثة للتخاطب مع عقول الصغار ، ومحاولة التواصل إلى فهم ميولهم ورغباتهم وحاجاتهم التي يصعب التعرف عليها مباشرة) (9) .

وبالتالي فهي محرّكا فعّالا لتشغيل مساحات الرغبات المدفونة باستنطاق المواهب، وتنميتها عن طريق المحاكاة والتقليد كما يمكن القول عن القصة إنّها (أفضل وسيلة تقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال ، سواء كان ذلك قيماً دينية أو أخلاقية ، معلومات علمية أو تاريخية أو جغرافية ... والحكاية هي الأساس الأوّل في

تكوين القصّة ، وهي استخدام سلاح التشويق لتشدّ إليها المسمعين أو القراء ، وتعتمد أساسا على حبّ الاستطلاع الذي يجعلهم دائما يتساءلون عما حدث بعد ذلك(10)، وعليه فالقصة عتبة مهمّة لإدخال السرور للطفل في بحثه على الأخلاق الحميدة بواسطة عنصر التشويق في السرد بوصفه محركا فعالا.

وإذا ما عدّنا لأصل القصّة فنجدها مادة أدبية لها وجود في التراث القديم ، وقد تناثرت خيوط الحكايات القصصية وتعدّد نسيجها على ألسنة الرواة مشافهة جيلا بعد جيل . أو تمّ تدوينها في بطون كتب اللغة والأدب والأخبار وأيام العرب ، وكان الكتاب والمرثون يهدفون من وراء القصص إلى عدّة مقاصد منها الغاية الوعظية ، وجلب السرور والمتعة لدى الأطفال وحفز خيالهم(11)، وعليه فالقصة كان لها مفعولها سواء أكان مشافهة أو تدوينا منذ القديم لما لها من سحر لغوي يحمليها مواظمة تربوية وإمتاعا عبر عنصر التشويق بتحفيز الخيال لتصور الأحداث ، كما تعرف القصّة أيضا إيمان البقاعي بقولها (قصّة الأطفال فن نثري شائق ، مروي أو مكتوب يقوم على سرد حادثة أو مجموعة من الحوادث مختلفة الموضوعات والأشكال ، مستمدة من الخيال أو من الواقع أو من كليهما معا ، لها شروطها الفنية المتعلقة كذلك بهذا النّموّ ، ويشترط فيها أن تكون واضحة ، سهلة ، ومشوقة ، وأن تحمل قيما ضمنية تساهم في نشر الثقافة والمعرفة بين الأطفال ، كذلك في تنمية لغتهم وخيالهم وذوقهم ، فتجمع بين لغتي المعرفة والفن)(12) وعليه فالقصّة تعتمد التشويق بوصفه محركا فعالا، فموضوعاتها متنوّعة تستمد من الخيال أو من الواقع أو مزيج بينهما هدفها التوجيه والتربية وغرس الحس الجمالي الفني في نفسية الطفل .

ولقد شاع في القصص الدينية الموجهة للطفل (قراءة قصص الأنبياء والصالحين ، وقصص الحيوان في القرآن الكريم ، وغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفجر الدعوة ، وقبله المسلمين ، وحياة الرسول وأصحابه ، وأمّهات المؤمنين ونساء خالدات والسيرة ، وكلّها قصص تدعو إلى الفضائل وتنفر من

الردائل ، وتجمع بين المتعة والتشويق والمغزى الخلقي من والمواقف القيمية ، أسلوبها قصصي ، وعقدتها الصراع بين الخير والشر (13) وعليه شكّل التراث الديني التاريخي موردا هاما لإثارة انتباه الطفل وتشويقه ودعوته لاتخاذة قدوة في التعامل والتحلّي بالصفات وأخذ العبر ، وعليه القصّة الدينية أهدافها دينية لأن أحداثها مستمدة من (القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة - النبي صلّ الله عليه وسلم - والصحابة التابعين والفتوح الإسلامية وقيم الدولة الإسلامية، وما يستمدّ من القرآن في شكل قصص الأنبياء والأمثال التي يضرّ بها القرآن في شكل قصصي أما السيرة والسنة فتعطينا الغزوات ومواقف الصحابة المشاهير والتابعين البارزين وقصص الفتوح تقدّم البطولات والتضحيات المثالية) (14) .

ولذلك أكّد العلماء بعد قرون طوال من نزول القرآن على حقائق أهمية القصّة للطفل إذ تعدّ (من أبرز أنواع أدب الأطفال بالكلمة في التجديد الفني ، حيث تتخذ الكلمات فيها مواقع فنية - وفي الغالب - كما تتشكّل فيها عناصر تزيد من قوّة التّجسد من خلال خلق الشخصيات ، وتكوين الأجواء والمواقف والحوادث ، فهي تقدم للطفل أشياء عن الماضي وتمدّه بخبرات وتجارب من الحاضر وتعدّه للمستقبل ، وهي بهذا لا تعرض معاني وأفكار فحسب ، بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات لدى الطفل إضافة إلى إثارتها للعمليات العقلية المعرفية كالإدراك والتخيل والتفكير) (15) .

وبالتالي القصّة تعدّ موطننا لتزاحم الأفكار لدى الطفل من خلالها يستوعب العبرة من سرد الأحداث فينشط فكره وتتقوّى عزمته ، فهي في مفهوم آخر (هي مصطلح فني أساسه التعبير عن تجربة إنسانية فيشكل حكاية بلغة تصويرية مؤثرة) (16) فهي بالتالي تعبّر عن واقع معاش بسرد شيق مما يشكل حكاية تؤثر في نفسية الطفل ، وتنمي مداركه وهذا بالنسبة للقصّة في تعاريفها العامة .

ثانيا - القصص الدينيّ الموجه للطفل وأبعاده الإنسانية والتربوية: يقودنا تخصيص الحديث عن القصص الدينية للقول إنها تعليم وإرشادات توضح مجموعة من المفاهيم والمبادئ والقواعد التي يرسو عليها الدين الإسلاميّ ، وبالتالي فهي تقوم بسرد وقائع من حياة الصّحابة والأنبياء والرسل ، ويتوفر هذا النوع من القصص في القرآن الكريم (فلا ريب إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لكتابة أحسن القصص للأطفال، والتي تزوّدهم بالقيم الأخلاقية والسلوكية ، والمعرفة العلمية التي يبتغها الإسلام للإنسان المؤمن وفي قصص الأنبياء والصحابة أمثال ضُربت وعبر سِقت ، وهي معبأة ببطولات وأحداث حقيقية للتاريخ الإنسانيّ (17) .

وبالتالي فالقصص الدينية مقسمة إلى نوعين : قصص قرآنية وقصص الأنبياء والصحابة ، هدفها تزويد الأطفال بالقيم الدينية والأخلاقية والإنسانية في السلوك ، والفهم المنطقي لتكوين إنسان واعي وراشد يبتغيه الإسلام ، وقد عرف حسن شحاتة هذا النوع من القصص كما يلي (القصص الدينية نوع من القصص يتناول موضوعات دينية هي : العبادات ، العقائد والمعاملات وسير الأنبياء والرسل ، وقصص القرآن الكريم ، والكتب السماوية ، والبطولات والأخلاق الدينية ، وما أعدّه الله تعالى لعباده من ثواب أو عقاب ، وأحوال الأمم الخالية ، وعلاقاتها بقضية الإيمان بالله تعالى ، وموقفها من الخير والشر) (18) وبالتالي فامتزاج القصة بالسرد التاريخي البطولي يبعث في الطفل قوّة العزيمة ، ويجعله متشبعا بالقيم النبيلة .

وعليه فأدب الطفل يغرس في الطفل الجانب العملي في واقعه لذلك عرفها نجيب الكيلاني في قوله (القصص الدينية للأطفال لم تقف عند حدّ قصص الأنبياء وقصص القرآن والسيرة والأحاديث الصحيحة فقط ، بل تعدّت إلى قصص واقعي معاصريستلهم أفكاره من الواقع ، ويستنبط قيمه من العقيدة الدينية ، ويلتقط أحداثا من الوقائع اليومية الجارية) (19) فالقصص الديني بذلك يهدف لترسيخ

القيم الإسلامية في ذات الطفل، والتعايش مع واقعه بحكم دينية تجعله أكثر فطنة وفهما ووعيا بتعاليم دينية كما صرح أيضا بقوله (القصص القرآني هو القصة المتكاملة لسلامتها من الخرافات ، والتحريف والتزييف ولتضمنه الحكمة الواضحة ، أو العبرة الصريحة) (20).

وعليه كان للقصص الدينيّ خطابه الأخلاقي والتربويّ لبناء شخصية الطفل وصقل مواهبه ، وبذلك يؤكّد محمد مفتاح ذياب على أهداف الفن القصصي بقوله (القصة الموجهة للطفل ذات هدف تربويّ تعليمي ، أو قد تكون لهدف التسلية والترفيه والترويح ، أو ربّما يكون هدفها الوعظ والإرشاد والتوجيه ، أو غير ذلك من الأهداف الأخرى التي يرى كاتب القصة أنّها ذات أهمية في حياة الطفل ، ومن ثمّ يستخدم القصة لغرسها في نفوس الأطفال) (21).

وعليه يتبيّن أن للقصص القرآني أهدافه التربوية والإنسانية فلما كان له غايات ، فإنّما ذلك ينبع من الاستفادة من القرآن الكريم بوصفه مصدرا للإمداد إذ احتفى (بالقصة وجعلها باعنا على التّفكر والتدبر لأنها واقعة تاريخية صادقة التعبير ، قويّة التأثير ، عظيمة المقصد ، تتحرك فيها الشخصية والحدث ، ويتجلّى فيها الصراع الأبدي الخالد بين الخير والشر ، وبين المؤمنين والكافرين ، وبين الرذيلة والفضيلة وبين الإنسان والشيطان بشتى صوره ومغرياته ، والإنسان بقوّته ، وضعفه واستقامته) (22) ، ومن الأهداف التربوية والإنسانية أيضا ما يؤكّده سعد أبو الرضا (على إبراز أهمية أدب الأطفال من خلال غرس القيم والمبادئ الدينية وعزيز الولاء للأمة والحفاظ عليها ودعم قوّة الانتماء إليها وتحقيق الاستقرار النفسي لدى الطفل) (23) ، فأدب قصص الأطفال القرآني يعزز روح حبّ الإسلام ويذكّمها ، ولعل أكبر جانب أخلاقي هو غرس فضيلة طلب العلم إذ تتعزز القيم وترسخ (بما يدعوله الإسلام من قيم ومبادئ كحب العلم ، وإنّ السعادة في رضا الله وتقواه) (24) ولعل

- مجمل الخطابات الإنسانية والتربوية للقصص القرآني بوصفه فرعاً من فروع القصص الديني تتلخص بما أورده نعمان الهبتي في كتابه أدب الأطفال نكرمها :
- صقل سلوك الأطفال وفق قيم وقوانين وتربيتهم تربية أخلاقية. - إعداد طفل إيجابي في المجتمع .
 - الالتزام بالأنماط السلوكية الصحيحة التي تقوم على الحبّ والعدل والمساواة .
 - اكتساب الأطفال المهارات المختلفة .
 - تنشئة الأطفال تنشئة علمية عن طريق إذكاء روح الفضول العلمي لديهم .
 - اعتزاز الطفل بوطنه .
 - غرس الحس الجمالي لدى الأطفال .(25)
- ولعل أحسن تعريف من منظور إسلامي ما ذهب إليه محمد فوزي مصطفى بقوله (هو الإدارة التعبيرية التي تراعي الخصائص الطفولية وتلبي احتياجاتها وتؤهلها لأنّه دور فاعل في صنع المستقبل ملتزمة بمبادئ التصوّر الإسلاميّ وفق أشكال من التعبير الأدبي ، تناسب العصر وتحقق المتعة الفنية) (26) وعليه ينشأ الطفل تنشئة دينية مزودة بالقيم الإنسانية والتربوية من منظور ديني هادف .
- وفي الختام : نصل من خلال المقال أخيراً لجملة نتائج كالآتي :
- عُدّ القصص القرآنيّ مورداً هاماً لزرع الحس الدينيّ بتحبیب الفضيلة ونبذ الرذيلة.
 - يعمل القصص القرآني الموجه للطفل على تعزيز وتنمية شخصية الطفل.
 - يجعل القصص القرآنيّ الطفل فرداً فعالاً في المستقبل في مجتمعه من خلال الاقتداء بالشخصيات الدينية والأحداث التاريخية .
- المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1- سمير عبد الوهاب ، أدب الأطفال وإبداعات شاعر ، مكتبة نانسي ، دمياط ، مصر ، 2005م ، ص3.
- 2- أبو معال عبد الفتاح ، دراسات في أدب الأطفال وأغانهم ، دارالبشير ، ط 1 ، عمان ، الأردن ، ص8.
- 3- حسن شحاتة ، أدب الأطفال (دراسات وبحوث) ، دارالمصرية اللبنانية ، ط 1 ، القاهرة ، 1991 ، ص 12 .
- 4- سمير عبد الوهاب أحمد ، أدب الأطفال (قراءات نظرية ونماذج تطبيقية) دار السيرة ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 2006 ، ص 45.
- 5- نجيب الكيلاني ، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، ط4 ، قسنطينة ، الجزائر ، 1980 ، ص14 .
- 6- دعاء عبد الرحمان أحمد أنشطيا ، أخبار وأفكار تقنيات التعبير ، أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق بتاريخ 25 ماي 2020م الساعة 15:43 www.lewiedt.com
- 7- ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب ، دارصادر ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، د ت ، ص732.
- 8- محمد فوزي مصطفى ، أدب الأطفال (الرحلة والتطور) ، دارالوفاء ، ط 1 ، الإسكندرية ، 2014 ، ص 145.
- 9- إيمان سندس ، مقالة قصص الأطفال العربية ، موقع مجلة www.algadeemagazine.com الجديد
- 10- سمير عبد الوهاب ، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار السيرة ، ص 123 .
- 11- محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للأطفال (منظور اجتماعي نفسي)، كلية رياض الأطفال، د ط، الإسكندرية، 2000 ، ص 13 .
- 12- إيمان البقاعي : المتقن في أدب الأطفال والشباب لطلاب التربية ودور المعلمين ، دارالراتب الجامعية ، بيروت .لبنان ، ص 117.

- 13- محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، ط 1، القاهرة، 2004، ص 122.
- 14- محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل، مؤسسة جورس، د ط، اسكندرية، مصر، د ت، ص 85.
- 15- سعد أبورضا، النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسمياته رؤية إسلامية، دار البشير، ط 1، عمان، 1993 م، ص 42.
- 16- سمير عبد الوهاب، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ص 123.
- 17- محمد حسن عبد الله، قصص الأطفال (أصولها الفنية ورواها)، دار العربي للنشر والتوزيع، د ط، الإسكندرية، مصر، د ت، ص 9.
- 18- زهراء خواني، أدب الأطفال في الجزائر (دراسة لأشكاله وأنماطه بين القصص والعامية 1990م - 2004م)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الثقافة الشعبية، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2008م، ص 57.
- 19- حسن شحاتة، قراءات الأطفال، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، القاهرة، 1998م، ص 122.
- 20- نجيب كيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 57.
- 21- محمد مفتاح ذياب، مقدمة ي ثقافة وأدب الأطفال، د ط، دراسة دولية، القاهرة، مصر، د ت، ص 142.
- 22- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 14.
- 23- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسمياته رؤية إسلامية، دار البشير، ط 1، عمان، الأردن، 1993، ص 42.
- 24- المرجع نفسه، ص 25.

25- ينظر هادي نعمان الهيتي ، أب الأطفال فلسفته ، فنونه ، وسائله ، الهيئة المصرية للكتاب ، دار الشؤون ، القاهرة (فصل مخصص للقصة) . 26- محمد فوزي مصطفى ، أدب الأطفال (الرحلة والتطور) ، دار الوفاء ، ط 1 ، الإسكندرية ، 2014 ، ص 5.